

الفصل الثالث نوع الدراسة ومناهج البحث

أ - أنواع الدراسات

توجد عدة أنواع من الدراسات، وأهمها: **الدراسة الاستطلاعية**، **الدراسة الوصفية**، **الدراسة الاستنتاجية**.

فإذا كان ميدان الدراسة جديداً يلزم الباحث القيام بدراسة استطلاعية، وإذا كانت هناك دراسات سبق إجراؤها في الميدان يتم القيام بدراسة وصفية، وإذا كان الميدان أكثر تحديداً يقوم بالدراسة الاستنتاجية.

أولاً: الدراسة الاستطلاعية

يقوم الباحث بالدراسة الاستطلاعية **حينما يجهل الأبعاد الحقيقية للمشكلة، ويعاني من نقص البيانات المتاحة عنها، مع قصور في البحوث والدراسات السابقة.**

أهداف للدراسة الاستطلاعية:

1. التأكد من أن هناك مشكلة تستحق الدراسة.
2. التأكد من إمكانية إجراء الدراسة (نظرياً وتطبيقياً) فيما بعد.
3. بناء أهداف وفروض البحث.
4. استيضاح المفاهيم المرتبطة بموضوع البحث.
5. التعرف على مجتمع الدراسة، وإيجاد الألفة بين الباحث وهذا المجتمع.

كيف يقوم الباحث بالدراسة الاستطلاعية؟

يتم القيام بهذه الدراسة من خلال:

- أ- **مراجعة الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع البحث:** من كتب ودوريات ورسائل. هذه القراءة تعمق فهم الباحث للموضوع الذي يدرسه.
- ب- **مقابلة ذوي الخبرة والعاملين في الميدان، وربما يحتاج إلى مقابلة موظفين أو مديرين سابقين تركوا العمل في هذا الميدان:** وعلى الباحث ألا يقتصر على سماع وجهة نظر واحدة، إذ لابد من مقابلة أفراد مختلفين في الخبرة والرأي - فاستطلاع رأي العامل في المصنع لا يقل أهمية عن استطلاع رأي المشرفين والمديرين. وأثناء المقابلة يترك لهم الحرية الكاملة في التعبير عن الأفكار التي لها صلة بموضوع البحث.

ثانياً: الدراسة الوصفية

- تستهدف الدراسة الوصفية تعيين خصائص ظاهرة معينة. وتعتمد على جمع الحقائق عن الظاهرة بغرض وصفها وصفاً دقيقاً وشاملاً.
- ولا تقف الدراسة الوصفية عند مجرد الوصف وجمع البيانات فقط، بل تقوم بتصنيف تلك البيانات وتحليلها واستخلاص الصورة التي هي عليها كمياً وكيفياً للوصول إلى نتائج يمكن تعميمها.
- وموقف الباحث وهو بسبيل إجراء دراسة وصفية يفضل موقفه وهو بسبيل إجراء دراسة استطلاعية. فهو يدخل ميدان الدراسة الاستطلاعية مفتقراً إلى أبعاد المشكلة، ونقص في البيانات والدراسات السابقة - بخلاف الحال في الدراسة الوصفية التي يلجأ إليها الباحث بعد أن تكون قد أجريت بحوث عديدة في نفس الميدان، ومن ثم تكون الظاهرة أكثر تحديداً أمام الباحث.

ثالثاً: الدراسة الاستنتاجية

- هذا النوع يختبر فروضاً سببية، وبالتالي فهو أكثر دقة وإحكاماً من الدراسات الاستطلاعية والوصفية.
- ويقوم الباحث في الدراسة الاستنتاجية بصياغة عناصر مشروع البحث مباشرة، وجميع البيانات النظرية والميدانية اللازمة لاختبار فروض البحث، وتحقيق أهدافه والإجابة عن تساؤلاته.
- وليس بالضرورة أن يشمل البحث الواحد الأنواع الثلاثة. فقد يكون البحث دراسة استطلاعية فقط، وقد يكون دراسة وصفية فقط، أو دراسة استنتاجية فقط، وقد يجمع بين النوعين أو الأنواع الثلاثة. وكل ما هو مطلوب من الباحث أن يشير في خطة البحث وفي التقرير النهائي إلى اسم (نوع) الدراسة، حتى ييسر على القارئ متابعة ما يقرأ.

ب - مناهج البحث

المنهج هو الطريقة التي يسلكها الباحث في موضوع بحثه. ومن أكثر المناهج المستخدمة في العلوم الاجتماعية ما يلي:

- 1- الوصفي
- 2 - التجريبي
- 3- التاريخي

أولاً: المنهج الوصفي

لا يركز البحث الوصفي على مجرد الوصف - كما يشير الاسم - أو على مجرد جمع البيانات فقط، وإنما يتعداها إلى المقارنة والتفسير والتنبؤ، وأهم ما تتميز به البحوث الوصفية ما يلي:

1. أنها دراسات ميدانية، تتعلق بجماعة معينة في مكان محدد.
2. تدرس أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء الدراسة.
3. يصف الباحث الوضع الحالي من أجل التنبؤ بالمستقبل.

مثال: يمكن لإحدى الشركات أن تقوم بجمع بيانات عن منتجاتها في السوق وخصائص المشترين لهذه المنتجات كالدخل والعمر والمهنة، ثم تدرس درجة الارتباط بين مبيعاتها وبين خصائص المشترين، ثم تستخدم البيانات المتعلقة بوجود ارتباط بين المتغيرات لأغراض التنبؤ. وعلى ذلك فإن التقارير الإحصائية، والكتب السنوية التي تصدرها الأجهزة المركزية والوزارات والبنوك، وما شابه ذلك، ليست بحوثاً وصفية، وإنما هي مجرد عرض لبيانات فقط.

-وتشتمل البحوث الوصفية على عدة أنواع، وأهمها نوعين وهما: منهج المسح الاجتماعي، ومنهج دراسة الحالة.

(1) منهج المسح الاجتماعي:

هو أحد المناهج الرئيسية التي تستخدم في البحوث الوصفية، لوصف الظاهرة المدروسة، وتصنيف وتحليل وتفسير البيانات المتعلقة بها، وذلك من أجل حل المشاكل واقتراح الحلول.

- موضوعات المسح الاجتماعي:

- دراسة الخصائص الديموغرافية (السكانية) مثل: المهنة والدخل والعمر والحالة الاجتماعية وحجم الأسرة ... إلخ.
- دراسة الجوانب الاجتماعية والثقافية مثل: العادات والتقاليد والهوايات وقضاء وقت الفراغ ووسائل الترفيه ... إلخ.
- دراسة الجوانب السلوكية: كالدوافع والآراء والاتجاهات والقيم.
- دراسة العلاقات الارتباطية بين بعض الجوانب السابقة.

- ومثل هذه الدراسات تلقي الضوء على سلوك الأفراد. كما يستخدم في دراسة المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع مثل البطالة والعنف وقياس الرأي العام تجاه قضايا المجتمع.

-ويستعين منهج المسح الاجتماعي بأدوات البحث: المقابلة والملاحظة والاستبيان في جمع البيانات من الميدان.

- أنواع البحث المسحي:

1. من ناحية **موضوع الدراسة** يوجد **مسح عام**، وينصب على عدة أوجه من الحياة الاجتماعية كدراسة الجوانب السكانية والتعليمية والصحية في مجتمع معين. كما يوجد **مسح خاص (محدود)**، ويهتم بدراسة شق معين من نواحي الحياة الاجتماعية كالتعليم أو الصحة.
 2. من ناحية **المجال البشري** يوجد **مسح شامل**، وينصب على جميع مفردات المجتمع كسكان قرية أو مدينة أو حي، أو العمالة بإحدى المنظمات. كما يوجد **مسح بالعينة**، حيث يتم الاكتفاء بدراسة عدد محدود من المفردات. وهذا النوع من المسح هو الذي يغلب استخدامه.
- وفي كل أنواع المسوح لا يتوقف البحث عند جمع البيانات وتصنيفها، بل تخضع للتحليل الإحصائي واستخلاص النتائج. فمثلاً التعداد العام للسكان الذي تقوم به الدولة هو مجرد دراسة مسحية، ولكنها ليست بحثاً ولا تتبع المنهج المسحي.

- مزايا وعيوب البحث المسحي:

مزايا البحث المسحي	عيوب البحث المسحي
<ul style="list-style-type: none">- جمع كمية كبيرة من البيانات.- إذا التزم الباحث بالدقة والموضوعية فإنه يصل إلى نتائج صادقة يمكن تعميمها والاعتماد عليها.- أنه يصف الظاهرة بصورة جيدة.- يتمتع فيه الباحث بمرونة بحثية عالية.	<ul style="list-style-type: none">- يحتاج الكثير من الوقت والجهد والتكلفة، وخاصة المسح العام والشامل.- بموجب هذا المنهج قد لا يتمكن الباحث من التعمق في فحص الجوانب المختلفة لظاهرة البحث.- يتعرض بدرجة كبيرة لأخطاء الصدفة والتحيز مما يؤثر على دقة النتائج.- صعوبة السيطرة على كل متغيرات الدراسة، مما قد يؤدي إلى نتائج غير واقعية في بعض الأحيان.

(2) منهج دراسة الحالة:

-يقوم هذا المنهج على أساس دراسة عدد محدود من الوحدات أو المفردات، وهذه الوحدات قد تكون: فرداً أو أسرة أو منظمة أو جماعة. ومن أمثلة ذلك اختبار عدد محدود من فروع بنك الراجحي لدراسة أسباب النجاح وأسباب الفشل من خلال هذه الفروع. وتكون هذه الدراسة شاملة ومتعمقة. **والباحث هنا أشبه بالطبيب النفسي.**

-وجدير بالذكر أن استخدام منهج دراسة الحالة في البحث يحتاج إلى خبرة ومران كبيرين.

-وقد يعتمد البحث بالكامل على دراسة الحالة. كما قد يعتمد الباحث على دراسة الحالة في دراسته الاستطلاعية في بدايات البحث.

- مزايا وعيوب دراسة الحالات:

مزايا دراسة الحالات	عيوب دراسة الحالات
- البحوث التي تعتمد على دراسة الحالات تكون متعمقة وشاملة وتغطي جميع جوانب الحالات موضع البحث. - دراسة الحالة تربط الحاضر بالماضي.	- صعوبة تعميم النتائج التي يتوصل إليها الباحث لأن العينة هنا غير ممثلة للمجتمع. - كثير ما يحدث تحيز في دراسة الحالة من جانب الباحث، أو من جانب المبحوث الذي قد يعطي معلومات لا تعبر عن رأيه الحقيقي أو سلوكه الشخصي. - صعوبة استخلاص نتائج تحليل الحالات في شكل كمي.

ثانياً: المنهج التجريبي

- يعتمد المنهج التجريبي على استخدام التجربة في معرفة تأثير المتغير المستقل (السبب) على المتغير التابع (النتيجة).

- ويتميز المنهج التجريبي بدرجة عالية من الدقة، بدأ استخدامه في العلوم الطبيعية، ثم امتد إلى العلوم الاجتماعية.

ونعرض للمنهج التجريبي من خلال تناول النقاط التالية:

1/ تجارب العلوم الطبيعية

- يعتمد التقدم في العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء على التجارب. ومعظم هذه التجارب تتم داخل المعمل.
- وهناك تجارب يتم إجراؤها في ظروف تشبه المعمل، ومن أمثلة ذلك ما يحدث في البحوث الزراعية مثل اختبار علاقة نوع من السماد بسرعة نمو النبات، أو العلاقة بين ضوء الشمس ونمو نبات معين.
- كما يمكن دراسة العلاقة بين متغيرين عن طريق مقارنة الوضع قبل التعرض للمتغير المستقل وبعده. ومثال ذلك دراسة أثر تلوث الهواء بدخان المصانع على صحة السكان عن طريق فحص السجلات الطبية للسكان في منطقة واحدة قبل إنشاء المصانع بها وبعدها.
- مثال:** أو فحص تأثير التدخين على الرنتين من خلال إجراء مقارنة بين مجموعتين من الأفراد متشابهتين في الخصائص فيما عدا عامل التدخين.

2/ تجارب العلوم الاجتماعية

- دقة النتائج في البحوث التجريبية دفعت الباحثين في العلوم الاجتماعية نحو استخدام المنهج التجريبي رغم الصعوبات التي تواجههم في هذا الشأن. والتجارب في العلوم الاجتماعية منها المعملية، ومنها الميدانية.

التجربة الميدانية	التجربة المعملية
فيتم تنفيذها في بيئتها الطبيعية، هذه البيئة قد تكون منطقة أو فصلاً دراسياً أو مصنعاً أو متجراً مثلاً. - ومثل هذه التجارب التي تتم في البيئة الطبيعية تمكن الباحث من دراسة جوانب متعددة للظاهرة، واختبار عدة فروض في دراسة واحدة، كما تمتاز بإمكانية تعميم النتائج التي يتوصل إليها الباحث.	تجري في بيئة خاصة، ومختلفة عن البيئة الطبيعية التي تحدث فيها الظاهرة. ومعمل التجربة في العلوم الاجتماعية غالباً ما يزود بالوسائل التي تسجل ما يحدث بداخله من نشاط سلوكي أو اجتماعي.

تصميمات البحث التجريبي:

توجد عدة أنواع من تصميمات البحث التجريبي، وأهمها:

(1) قياس قبل وبعد التجربة لمجموعة واحدة:

طبقاً لهذا التصميم تحسب المنظمة حجم مبيعات السلعة (أ) خلال فترة معينة (شهر مثلاً)، ثم تقوم بتخفيض سعر البيع مثلاً، وبعد فترة تقوم بحساب حجم المبيعات، والفرق في حجم المبيعات بين القياسين الأول والثاني يشير إلى أثر المتغير التجريبي (خفض السعر). والمثال التالي يوضح ذلك:

لـ رقم المبيعات قبل تخفيض السعر = 500 وحدة.

لـ رقم المبيعات بعد تخفيض السعر = 600 وحدة.

لـ إذن أثر تخفيض السعر = $600 - 500 = 100$ وحدة.

لـ ولا يشترط أن يكون المتغير التابع كمي (حجم المبيعات في المثال السابق)، فيمكن أن يكون وصفي ثم نقوم بتحويله إلى قيمة أو مستوى كما في المثال التالي:

- وهناك بعض الانتقادات الموجهة لهذا الأسلوب وهي:

أن زيادة المبيعات في المثال السابق (100 وحدة) قد ترجع إلى عوامل أخرى غير تخفيض السعر. عدم القدرة على التحكم في العوامل الأخرى التي أثرت على حجم المبيعات سواء قبل التجربة أو بعد التجربة مثل: عدد المستهلكين، أذواقهم، معدل استهلاكهم، المنافسة - وغيرها.

(2) قياس قبل وبعد التجربة لمجموعتين:

- يسعى هذا التصميم إلى تلافي عيوب التصميم السابق، فيتم اختيار مجموعتين (مدينتين مثلاً)، إحداها تجريبية (نقوم بتخفيض سعر بيع السلعة بها)، والثانية قياسية لا نخفض فيها السعر، ونحسب حجم مبيعات السلعة خلال فترة معينة في المدينتين قبل تخفيض السعر. ثم نقوم بتخفيض السعر في المدينة الأولى (التجريبية) فقط، ثم نحسب حجم المبيعات بعد ذلك لنعرف مدى تأثير خفض السعر على حجم المبيعات.

إن نجاح هذا النوع من التصميم يتطلب:

- أ- وجود مجموعتين متشابهتين.
- ب- تثبيت (تحييد) للعوامل الأخرى خلال فترة التجربة عدا خفض السعر.
- أما أهم الانتقادات الموجهة إلى هذا التصميم فهي:

أ- صعوبة توافر الشرطين السابقين.

ب- احتمال أن تتأثر نتائج القياس بعد التجربة بالقياس الذي تم قبل التجربة.

حدود استخدام المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية:

توجد صعوبات كثيرة أمام استخدام المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية.

وأهم هذه الصعوبات ما يلي:

1. أن الظاهرة في العلوم الاجتماعية تكون نتيجة لأسباب عديدة، وعند الدراسة يصعب السيطرة والتحكم في تلك الأسباب، وإبقائها ساكنة فيما عدا المتغير التجريبي المطلوب اختباره.
- والمثال على ذلك أن زيادة مبيعات سلعة معينة لا ترجع فقط إلى خفض سعر بيعها، بل توجد عوامل أخرى تساعد في زيادة المبيعات.
2. في حالة اختيار مجموعتين فإن هناك صعوبات كبيرة في الوصول إلى التماثل بينهما من حيث العمر والتعليم والثقافة العامة والدخل وغير ذلك.
3. شعور الفرد بأنه تحت التجربة قد يدفعه إلى تغيير سلوكه أثناء التجربة، أو يتصرف بطريقة مغايرة لسلوكه الطبيعي، فتتأثر النتائج ويصعب تعميمها.
4. أن معظم الموازين المستعملة في العلوم الطبيعية على درجة عالية من الصدق والثبات، ولا تتأثر بشخصية الذي يستعملها. أما في العلوم الاجتماعية فهذا ليس صحيحاً في جميع الأحوال.

-لا يقتصر المنهج التاريخي على بحوث علم التاريخ فقط، بل يستخدم في شتى العلوم لكون الحاضر هو نتاج الماضي، ولا يمكن فهم الحاضر إلا بتقصي جذوره التاريخية.

مثال: الطبيب يعالج المرضى بعد أن يتعرف على تاريخ حياتهم الصحي، والأمراض التي أصيبوا بها في الماضي، والأمراض التي أصابت آباءهم.

مصادر معلومات منهج البحث التاريخي وأدوات جمعها:

يعتمد الباحث على عدة مصادر لجمع البيانات في حالة استخدامه لمنهج البحث التاريخي، أهمها ما يلي:

- السجلات والوثائق الرسمية، كالمخطوطات والرسائل والاتفاقيات والقوانين، والجرائد والسجلات التجارية.
- ما كتب عن الموضوع في دراسات سابقة تلقي الضوء على الظاهرة موضوع البحث.
- كلام شهود العيان الذين لاحظوا الحدث بأنفسهم.
- السجلات الشخصية لأفراد لهم علاقة بالظاهرة، كالمذكرات والسير الذاتية والوصايا والصور.
- المصادر الأخرى التي قامت بالنقل عن المصادر الأصلية، مثل التراجم وكتب الشرح والتحقيق وغيرها، أو ما تعرضه الأجيال اللاحقة عن الجيل الذي عاش الظاهرة أو الحدث.
- الآثار وما تحويه من الحلي والأسلحة والرسوم وبقايا المباني، ويستدل الباحث من خلالها على الماضي، وكيف عاش هؤلاء الناس؟
- ويستخدم الباحث عدة أدوات لجمع بيانات البحث التاريخي وأهمها الاستقصاء والملاحظة والمقابلات الشخصية، إلى جانب البيانات المكتوبة في المصادر الثانوية.

الأمر الواجب مراعاتها عند إجراء البحث التاريخي

- أن المادة التاريخية ترتبط بالماضي، ومن ثم لا يمكن ملاحظتها مباشرة أو إجراء التجارب عليها، لذا فإن الإجابة على تساؤلات البحث تحتاج إلى عملية نقد وتحليل بصورة دقيقة.
- أن وسيلة إثبات الفروض والوصول إلى النتائج هي المادة التاريخية، وبالتالي فإن هدف البحث ليس الحصول على البيانات التاريخية، وإنما استخدامها في تحليل وفهم الأحداث.
- نظراً لارتباط الأحداث التاريخية بالكثير من العوامل المتداخلة، فإنه لا بد من توفر الدقة والموضوعية في المعالجة والتفسير.
- أن المعلومات التي يتم الاعتماد عليها قد تكون غير دقيقة، ولا يوجد مقياس علمي لتقرير مدى صدقها. ولذلك فإن أحد عيوب هذا المنهج اعتماده على التحليل الكيفي والتفسير الذاتي للباحث.